### الثورة الأندلسية الكبرى على الأمبراطورية الإسبانية (٣ من ٣)

# القضاء على الثورة: ١٥٦٨-١٥٧٠

عادل سعيد بشتاوي *

■ في مطلع عام ١٥٧٠ بدأت الأساطيل العثمانية تقترب من جزيرة قبرص التي سيطر عليها البنادقة مستغلة انشغال جيوش فيليب الثاني في قمع الثورة الأندلسية. وفي بداية شباط (فبراير) عام ١٥٧٠وجّه العثمانيون إنذاراً نهائياً إلى البندقية بتسليم قبرص التي كانت تُستخدم قاعدة لاعتراض السفن العثمانية والعربية والإغارة على بعض المدن مثل الإسكندرية. ولجأت البندقية إلى البابا بيوس الخامس فعرض على فيليب الثاني إنشاء تحالف ضد العثمانيين يستهدف اسطولهم الكبير الذي بدأ يهدد أغلب شواطىء البحر الابيض المتوسط. واقتضت خطة البابا تشكيل قوة بحرية كبيرة من أساطيل البندقية المتحالفة مع أساطيل دول أوروبية أخرى يقودها فيليب الثاني، على أن تتولى البابوية تمويل الحملة من الضرائب التي أقر البابا بعضها على سائر أهل الكاثوليكية، ومن محصلة بيع صكوك الغفران.

ولم يكن فيليب غادر قشتالة يوماً واحداً منذ استلم عرش البلاد، ولم يكن يعتزم مغادرتها آنذاك فاقترح على البابا تسليم قيادة الحملة إلى دون خوان فور إخماد الثورة الأندلسية في الجنوب. لكن دون خوان لم يكن حتى تلك الفترة في وضع يمكّنه من إنهاء الثورة التي استفحلت وعمّت قسماً كبيراً من مملكة غرناطة. وبات الوقت على غاية كبيرة من الأهمية، وانتقلت الثورة الأندلسية من دورها المحلي المحصور بمملكة غرناطة إلى دور عالمي أعاق قيادة الإسبان واحدة من أهم معارك القرن السادس عشر.

وأمام هذا الوضع وجّه فيليب الثاني دون خوان للتفاوض مع الأندلسيين وبدأ مفاوضات مع البابا أطالها متعمداً لإعطاء دون خوان الفرصة لانهاء الثورة الأندلسية. وبعث دون خوان إلى الزعيم الأندلسي الذي نعرفه باسم «الحبقي» يطلب بدء جولة جديدة من المفاوضات الشاملة فوافق وبدأت هذه المرة في ١٣ أيار (مايو) في قرية تدعى فندون اندرش Fondón de Andarax بحضور الحبقي وعدد من الزعماء الأندلسيين.

واشترط الوفد الأندلسي لوقف القتال إصدار عفو عام جديد والغاء مرسوم الأول من كانون الثاني (يناير) عام ١٥٦٧فطلب دون خوان أن يأتيه الوفد بما يثبت موافقة ابن أميّة على الشروط، فيما عهد إلى أمين سره خوان دي سوتو الإشراف على صوغ بنود الاتفاق الجديد. وفي ١٩ أيار عاد الوفد إلى معسكر دون خوان بموافقة ابن أميّة فصادق الحبقي على الاتفاق ممثلاً عن الجانب الأندلسي. وبعد انتهاء المراسم انسحب الوفد الأندلسي باستثناء الحبقي الذي بقي في المعسكر ضيفاً على دون خوان وحضر مأدبة عشاء دُعي إليها القادة والأعيان بمن فيهم رئيس أساقفة وادي آش.

ولما انتهى إلى علم ابن أميّة بقاء الحبقي في معسكر دون خوان ثارت شكوكه، وتحوّلت الشكوك إلى إنكار بعدما عرف أن اتفاق العفو عن الأندلسيين يتضمن بنداً يقضي بإبعاد كل سكان البشرات عن أماكن اقامتهم على أن يتكفّل الملك برعايتهم في مناطق سكناهم الجديدة (١). وهنا بعث ابن أميّة إلى دون خوان ينفي موافقته على هذا البند. ولما أجابه دون خوان أن البند موجود في الاتفاق الذي صادق عليه الحبقي ثار ابن أميّة واتهم الحبقي بتجاوز صلاحياته. ولما سمع الحبقي بما حدث خرج من معسكر دون خوان إلى سكناه في بلدة برشل الجبليّة المطلة على مناظر خلابة في الجنوب، فبعث ابن أميّة جماعته إليه فساقوه الى محل اقامته في مسينه الواقعة إلى الشرق من برشل فأعدموه ولفوا جثته بالقش ورموها في واد عميق. ولما استفقد دون خوان الحبقي وعرف بمقتله بعث هرنان بال دي بلاثيوس إلى معسكر ابن أميّة يعرض الصلح فرد عليه: «لا أمنع قومي من فعل ما يشاؤون لكن ابلغ سيدك انني لن أسلك سبيلهم ما بقي عليّ كساء يستر ظهري. وإن لم يصمد أحد من البشرات فأنا صامد وحدي مفضّلاً أن أعيش مسلماً وأموت مسلماً على أن أنعم بكل ما يمكن ان يقدمه إليّ فيليب الثاني» (٢).

وحين عاد هرنان إلى دون خوان بقرار ابن أميّة بدأ الأخير في إعداد جنوده للقضاء على الثورة، وانتظر موافقة فيليب على إرسال إمدادات عسكرية جديدة لشن الحملة النهائية على الأندلسيين في مملكة غرناطة.

#### تصفية الثورة الأندلسية الكبرى

بدأت قوات دون خوان والمليشيات أعمالاً عسكرية محدودة استهدفت القرى الأندلسية المنعزلة عاد بعدها الجنود يحملون رؤوس القتلى الأندلسيين أو قضبانهم لاثبات موتهم. وبعدما تحسنت الروح المعنوية لتلك القوات وازدادت جرأتهم قاد دون خوان حملة ضد أججر Ugijar، الواقعة جنوب الطرف الشرقي من جبل شلير، على محورين، إلا أن اندفاعة دوق سيسه كانت أقوى فاجتاح البلدة قبل انضمام دون خوان إليه. ووزع الأخير القوات والمليشيات بعد ذلك على أربعة جيوش فكان هو على رأس جيش من نحو خمسة آلاف جندي نظامي بمهمة إخضاع المناطق الواقعة شمال غرناطة، بينما تولّى ريكويسنس قيادة جيش آخر ينطلق من غرناطة لدخول جبل البشرات من الشمال. وفي الوقت نفسه تولّى دوق سيسه قيادة نحو أربعة آلاف من المجندين لقمع الثورة وسط الجبال، وتسلّم دوق أركوش قيادة الجيش الغربي لقمع الثورة في جبال رندة والاتجاه بعد ذلك إلى الثوار الذين احتموا في قمم الجبال العالية القريبة منها.

وفي بداية أيلول (سبتمبر) ١٥٧٠ أمر فيليب الثاني ببدء الحملة فانطلقت الجيوش الأربعة إلى قطاعاتها المحددة رافعة شعاراً مشهوراً أطلقه دون خوان هو: «لا رحمة ولا هوادة» (٣). وتصدى الأندلسيون للقوات القشتالية على المحاور الأربعة في المرحلة الأوليّة لكنهم بدأوا التراجع بسرعة والالتجاء إلى المرتفعات. وعمل الجنود على حرق الزرع والشجر وإتلاف المحاصيل فقلّت الأرزاق والماء، وانشغلت مجموعات الثوار بمقاومة القوات كل في قطاعها فانقطعت الاتصالات وانفقد التنسيق بينها. وبعدما أتمّ دون خوان اخضاع المناطق في قطاعه لاحق الأندلسيين في الكهوف والمغاور العالية. وكان الجنود يحاصرون المغاور ويشعلون الأغصان الخضراء في المداخل فربما اختنق المحاصرون وربما خرجوا فتلقفهم رصاص البنادق. ولا نعرف الكثير عن تفاصيل الحملتين اللتين قادهما ريكويسنس ودوق سيسه، لكن دوق أركوش دخل قطاعه في منتصف أيلول تقريباً وتوغل في جبال غربيّة الأندلس حتى اصطدم بتجمع كبير للثوار قرب قلعة اللوز في الجبل الاحمر Sierra Bermeja ودارت معركة عنيفة انتهت بانتصار قوات الدوق وفقد الثوار توازنهم واختلت صفوفهم وتبعثرت جهودهم فانسحبوا في الجملة إلى أعالي الجبال.

ودبّ الخلاف في صفوف قادة الأندلسيين بعد تلك الهزائم وانقسمت الآراء وربما اعتبر بعضهم موقف ابن أميّة سبباً في نكبتهم فقاموا عليه وقتلوه وسلّموا زمام أمرهم إلى زعيم آخر نعرفه باسم عبدالله بن أبيه أو Abén Aboo بالقشتالية. وحاول عبدالله إعادة تنظيم قواته فلم يُتح له الوقت فهرب مع جماعته وحُوصر مع نفر منهم في كهف قرب بلدة برشل. وتمكن عبدالله من الفرار بعد ذلك لكن ٧٠ أندلسياً ظلوا في الكهف وماتوا اختناقاً بالدخان من بينهم زوجة عبدالله وابنتاه. وبحلول منتصف تشرين الأول (اكتوبر) كانت الجيوش الإسبانية الأربعة أنهت مهمتها العسكرية وبدأت ملاحقة الأندلسيين بلا استثناء أينما وجدوا. وتسابق الجنود والمليشيات على اصطياد الأندلسيين وكان أجر كل من أحضر منهم رأس أندلسي ٢٠ دوقة. وفي ١٩ تشرين الأول أسبغ فيليب الثاني الشرعية على عمليات الانتقام الواسعة النطاق في الجنوب فأتاح لجنوده السبي والنهب بمرسوم ملكي ورفع رواتبهم. وحان بعد توقف القتال وقت استرداد نفقات الحملات فأصدر الملك فيليب الثاني في ٢٨ الشهر ذاته مرسوماً آخر وجّه فيه بترحيل الأندلسيين المدنيين من الجنوب إلى قشتالة ومصادرة كل ممتلكاتهم. ورحل دون خوان في اليوم التالي بعدما عيّن دوق أركوش حاكماً عسكريا في غرناطة وأوكل إليه مهمة إنهاء الوجود الأندلسي في الجنوب، وكر إلى مدريد حيث استقبله الإسبان استقبال الأبطال.

وبعد تلك المذبحة المروّعة قدّمت السلطات آلاف الأندلسيين إلى المحكمة العليا التي رأسها بدرو دي ديثا فأعدمت قسماً وسجنت قسماً آخر وحرمت آخرين الحريّة فصاروا عبيداً في قشتالة وانتقلت جماعات منهم إلى العالم الجديد. وبحثت السلطات عن آخر زعماء مملكة غرناطة لكنها لم تجده. وفي آذار (مارس) ١٥٧١ كشف أحد أتباع عبدالله للسلطات مكان زعيمه، طمعاً بالسلامة كما يبدو، وانطلق الجنود إليه لكن أحد جماعته استعجلهم فبادر بقتله. وخرج المنادون إلى سكان غرناطة القشتالة يهنئون بقتل الزعيم الأندلسي فاحتشدوا على بوابتها وجاء الجنود بجثمان عبدالله ابن أبيه موثوقاً إلى إطار خشبي على ظهر بغل فطافوا به المدينة ثم قطعوا رأسه. وتكاثر القشاتلة على الجثمان فشوهوه وحرقوه. أما رأس الزعيم عبدالله فوضع في قفص عُلق على باب البشرات في مدينة غرناطة وكُتب عليه: «هذا رأس الخائن عبدالله ابن ابيه. ليمتنع الجميع عن إنزاله تحت عقوبة الإعدام» (٤).

وبنهاية الثورة كان معظم الأندلسيين الذين عاشوا في الجنوب مغرّبين أو سجناء أو عبيداً أو أسرى و«صُبغت تلك الأشهر بنهر أحمر قان من الدماء، كان شعار دون خوان: لا رحمة لا هوادة، فذُبح الرجال والنساء والأطفال بأمره وأمام ناظريه، وتحوّلت قرى البشرات الى مسلخ بشري. أما القائد الاعلى ريكويسنس فتمكّن من اخماد آخر جذوات الثورة قبل ٥ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٥٧٠ ورتب سلسلة منظمة من الذبح الجماعي والتدمير الشامل وإحراق القرى عن آخرها وخنق الناس بالدخان في الكهوف حيث لاذوا. وتم أخيراً اخضاع الموريسكيين لكن على حساب إسبانيا المسيحية وسمعتها ومستقبلها» (٥).

وأضحت غرناطة بعد ذلك «مسرحاً للاعدامات شبه اليومية. فبعد أسر الثائرين التعساء كانوا يُجبرون على المثول أمام محكمة دي ديثا، فيصدر عليهم الحكم على الفور بالخدمة في القواديس أو الشنق، أو بنهاية أكثر إرهاباً عن طريق تقطيع أجسادهم بكماشات تُحمّى حتى يصبح لونها كالجمر» (٦).

واحتمت جماعات من الأندلسيين بالمرتفعات والمناطق الوعرة التي لم تستطع القوات القشتالية الوصول إليها، وبدأت شنّ هجمات متفرقة على مراكز القوات القشتالية حتى نهاية أيار من ١٥٧١. وأمر الحاكم العسكري الجديد بتشييد ٨٤ منبراً عسكرياً بينها ٢٩ منبراً في جبل البشرات ووادي القرن Lecrin، كما شدّد الحراسات على مداخل المدن. ولم تشأ السلطات استمرار الوجود العسكري خلال الشتاء فعرضت على بقايا الثوار وعيالهم الاستسلام لقاء تأمين أنفسهم وعيالهم فقبل كثيرون العرض. وبانتصاف عام ١٥٧١ انطفأت شعلة الثورة التي استشهد فيها نحو ٢٠ ألف أندلسي وأندلسية، وربما كان عدد جرحاها ثلاثة أضعاف هذا الرقم على الأقل، بينما طاولت الإعدامات والاستعباد والشغل في السفن الإسبانية في أعالي البحار عشرات الآلوف.

* من اسرة «الحياة»، وهذا جزء من الفصل الثالث في كتاب «الأمة الأندلسية الشهيدة» يصدر قريباً عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

(١) لا توجد أي نسخة من هذا الاتفاق في الوثائق القشتالية أو الأندلسية مما يثير احتمالاً باختلاف النسخة التي صادق عليها الجانب الأندلسي عن النسخة التي أبرزها دون خوان. ونعرف بعض تفاصيل الاتفاق من حديث كربخال في المصدر أعلاه، القسم الثاني، الصفحات ٣٥٥-٣٦٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤١٠.

(٣) Lane-Poole, Stanley. The Moors in Spain, p 278.

(٤) Mendoza, Hurtado de. guerra de Granada, p 329.

(٥) Lane-Poole, Stanley. The Moors in Spain, p 278.

(٦) Prescott, W. .H. History of the Reign of Philip II, King of Spain, V, Chapter VIII, p 280.

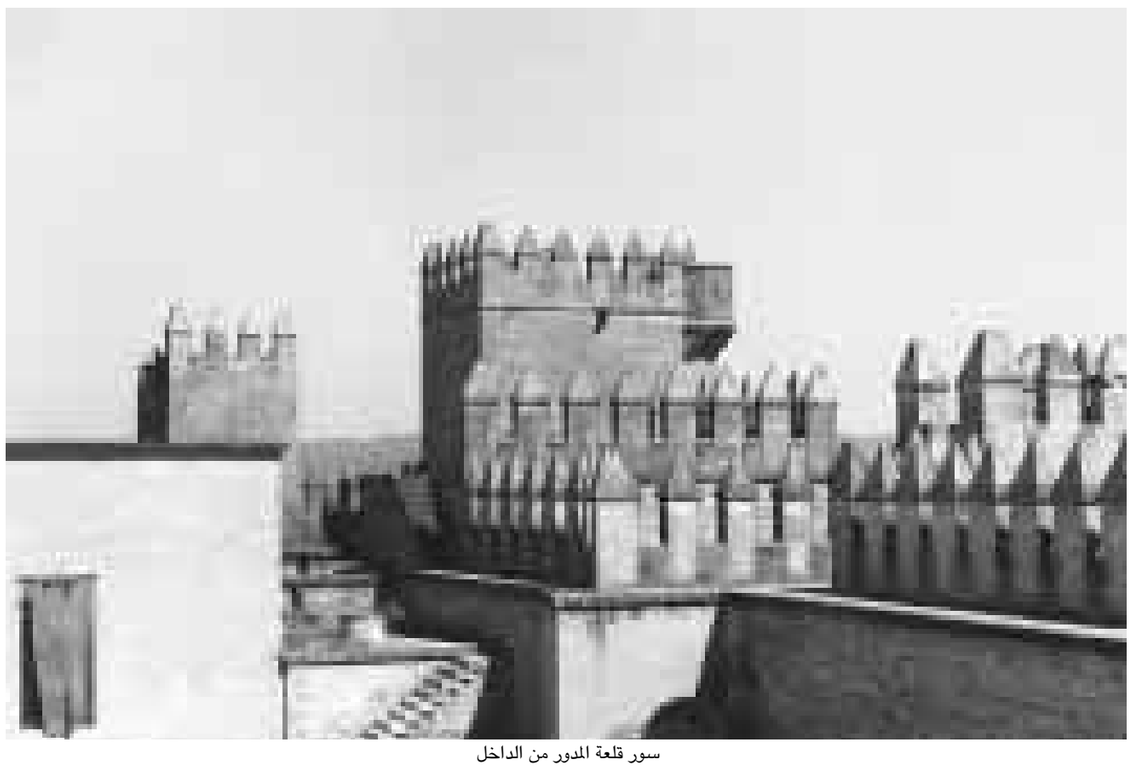
سور قلعة المدور من الداخل

جبل نيفادا (الثلج) في امارة غرناطة

بنادق مصادرة من الثوار الاندلسيين

| المدينة | الفجر | الشروق | الظهر | العصر | المغرب | العشاء |
|---|---|---|---|---|---|---|
| مكة المكرمة | ٥,٢٩ | ٦,٤٣ | ١٢,٣٥ | ١٥,٥٤ | ١٨,٢٥ | ١٩,٥٥ |
| المدينة المنورة | ٥,٣٠ | ٦,٤٥ | ١٢,٣٥ | ١٥,٥٤ | ١٨,٢٢ | ١٩,٥٢ |
| القدس المحتلة | ٤,٤٨ | ٦,١٠ | ١١,٥٤ | ١٥,٠٧ | ١٧,٣٤ | ١٨,٤٩ |
| ابو ظبي | ٥,٣٠ | ٦,٤٦ | ١٢,٣٧ | ١٥,٥٤ | ١٨,٢٢ | ١٩,٣٣ |
| المنامة | ٤,٤٧ | ٦,٠٣ | ١١,٥٢ | ١٥,٠٩ | ١٧,٣٧ | ١٨,٤٩ |
| الجزائر | ٥,٥٨ | ٧,٢٣ | ١٣,٠٣ | ١٦,١١ | ١٨,٣٧ | ١٩,٥٩ |
| الخرطوم | ٤,٥٦ | ٦,٠٦ | ١٢,٠٥ | ١٥,٢٦ | ١٧,٥٧ | ١٩,٠٤ |
| الكويت | ٥,٠٠ | ٦,١٨ | ١٢,٠٥ | ١٥,٢٠ | ١٧,٤٧ | ١٩,٠٠ |
| الرباط | ٥,٣٦ | ٧,٠٠ | ١٢,٤١ | ١٥,٥٢ | ١٨,١٩ | ١٩,٣٧ |
| الرياض | ٥,٠١ | ٦,١٧ | ١٢,٠٧ | ١٥,٢٦ | ١٧,٥٥ | ١٩,٢٥ |
| الدوحة | ٤,٤٣ | ٥,٥٩ | ١١,٤٨ | ١٥,٠٧ | ١٧,٣٤ | ١٨,٤٥ |
| القاهرة | ٤,٥٨ | ٦,٢٤ | ١٢,٠٩ | ١٥,٢٤ | ١٧,٥٢ | ١٩,١١ |
| بيروت | ٤,٤٧ | ٦,١١ | ١١,٥٢ | ١٥,٠٣ | ١٧,٣٢ | ١٨,٤٨ |
| بغداد | ٥,١٣ | ٦,٣٣ | ١٢,١٦ | ١٥,٢٨ | ١٧,٥٦ | ١٩,١٢ |
| تونس | ٥,٢٩ | ٦,٥٥ | ١٢,٣٣ | ١٥,٤١ | ١٨,١٠ | ١٩,٣٠ |
| جيبوتي | ٥,١٢ | ٦,٢٣ | ١٢,٢٢ | ١٥,٤٣ | ١٨,١٨ | ١٩,٢٥ |
| دمشق | ٤,٤٥ | ٦,٠٦ | ١١,٥٠ | ١٥,٠١ | ١٧,٢٩ | ١٨,٤٥ |
| دبي | ٥,٢٨ | ٦,٤٤ | ١٢,٣٣ | ١٥,٥٢ | ١٨,١٩ | ١٩,٣٠ |
| صنعاء | ٥,١٠ | ٦,٢٠ | ١٢,١٨ | ١٥,٣٩ | ١٨,١١ | ١٩,١٨ |
| طرابلس الغرب | ٥,١٦ | ٦,٣٩ | ١٢,٢٢ | ١٥,٣٣ | ١٨,٠٠ | ١٩,١٨ |
| عمان | ٤,٤٦ | ٦,٠٦ | ١١,٥٢ | ١٥,٠٣ | ١٧,٣٢ | ١٨,٤٨ |
| مسقط | ٥,١٥ | ٦,٢٩ | ١٢,٢٠ | ١٥,٣٩ | ١٨,٠٧ | ١٩,١٨ |
| مقديشو | ٤,٥٨ | ٦,٠٦ | ١٢,١٣ | ١٥,٣٠ | ١٨,١٥ | ١٩,٢١ |
| نواكشوط | ٦,١١ | ٧,٢٣ | ١٣,١٨ | ١٦,٣٨ | ١٩,١٠ | ٢٠,١٨ |
| انقرة | ٤,٥٨ | ٦,٢٧ | ١٢,٠٣ | ١٥,٠٧ | ١٧,٣٦ | ١٩,٠٠ |
| طهران | ٥,١٢ | ٦,٣٦ | ١٢,١٦ | ١٥,٢٦ | ١٧,٥٣ | ١٩,١٢ |
| اثينا | ٥,٣٤ | ٧,٠١ | ١٢,٣٩ | ١٥,٤٦ | ١٨,١٤ | ١٩,٣٦ |
| برلين | ٥,٢٣ | ٧,٠١ | ١٢,٢٠ | ١٥,٠١ | ١٧,٣٦ | ١٩,١٠ |
| بروكسيل | ٥,٥٧ | ٧,٣٥ | ١٢,٥٨ | ١٥,٤١ | ١٨,١٥ | ١٩,٤٨ |
| باريس | ٦,٠٢ | ٧,٤١ | ١٣,٠٥ | ١٥,٥٤ | ١٨,٢٦ | ١٩,٥٩ |
| جنيف | ٥,٤٥ | ٧,٢١ | ١٢,٥٠ | ١٥,٤٣ | ١٨,١٥ | ١٩,٤٧ |
| روما | ٥,١٨ | ٦,٥٠ | ١٢,٢٤ | ١٥,٢٦ | ١٧,٥٥ | ١٩,٢٢ |
| ستراسبيغو | ٤,٥٥ | ٦,٣٠ | ١٢,٠١ | ١٤,٥٨ | ١٧,٢٩ | ١٨,٥٧ |
| ستوكهولم | ٥,١٥ | ٦,٥٨ | ١٢,٠٣ | ١٤,٢٢ | ١٧,٠٣ | ١٨,٤١ |
| كوبنهاغن | ٥,٣٠ | ٧,١٢ | ١٢,٢٤ | ١٤,٥٦ | ١٧,٣٣ | ١٩,٠٨ |
| لندن | ٥,١٥ | ٦,٥٥ | ١٢,١٥ | ١٤,٥٦ | ١٧,٣٢ | ١٩,٠٤ |
| مدريد | ٦,٢٤ | ٧,٥٤ | ١٣,٣٠ | ١٦,٣٣ | ١٩,٠٠ | ٢٠,٢٦ |
| نيقوسيا | ٤,٥٦ | ٦,١٩ | ١٢,٠١ | ١٥,١١ | ١٧,٣٧ | ١٨,٥٦ |
| واشنطن | ٥,١٧ | ٦,٤٦ | ١٢,٢٢ | ١٥,٢٨ | ١٧,٥٦ | ١٩,١٨ |
| اوتاوا | ٥,١١ | ٦,٤٧ | ١٢,١٨ | ١٥,١٣ | ١٧,٤٢ | ١٩,١٥ |

* تقويم المركز الاسلامي في آخن - المانيا. ** يرجى مراعاة التوقيت الصيفي.

# مركز الأبحاث للتاريخ والفنون الاسلامية ينال جائزة إيران العالمية للتميز والإبداع

□ *استنبول - «الحياة»*

■ سلّم الرئيس الإيراني محمد خاتمي مدير عام مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية في استنبول الدكتور أكمل الدين إحسان اوغلي جائزة ايران العالمية للتميز والإبداع في ميدان دراسات مختلف موضوعات الحضارة الاسلامية. وقد تم اختيار المركز لهذه الجائزة من بين العديد من المراكز والمؤسسات الدولية والإقليمية العاملة في هذا المجال.

ومن خلال جائزتها العالمية الممنوحة لأفضل «كتاب العام»، المخصصة للمؤسسات المبدعة في حقل الدراسات الاكاديمية في ميدان التاريخ والفنون والثقافة ومختلف موضوعات الحضارة الاسلامية، منحت ايران مركز «ارسيكا»، التابع لمنظمة المؤتمر الاسلامي، جائزة عالمية خاصة للدور المميز الذي يقوم المركز به للتعريف بتراث العالم الاسلامي وثقافته، وما أنجزه من دراسات اكاديمية قيمة في تاريخ العلوم والفنون والبليوغرافيا ودراسة المخطوطات وتوثيق التراث الاسلامي، وما يضمه من كنوز تمثل زاداً مهماً واستمرارياً لأجيالنا الشابة للنهل منه لتطوير اطر المستقبل، وما يقوم به من العمل المتواصل والجهود الحثيثة والثمرات الأولى لمبادرات تستحق التشجيع وتثير الاعجاب وتبرر الآمال المعقودة عليه.

وقدم الرئيس خاتمي هذه الجائزة الى الدكتور احسان اوغلي في مدينة طهران خلال الاحتفال الرسمي الذي جرى قبل ايام لتكريم المبدعين، حيث تمت الاشادة بالعطاءات العديدة للمركز من خلال التنويه بما ساهم به من التعريف بكثير من كنوز الثقافة الاسلامية وتصحيح صورة الحضارة الاسلامية في العالم.

وأشار الكتيب التعريفي للجائزة الى ان ايران تنظر بكل التقدير الى الدور الذي يقوم به المركز كمؤسسة تسعى الى النهوض بالهوية الثقافية للعالم الاسلامي، والى الانجازات التي حققها المركز خلال مسيرته الجديرة بالتنويه والتقدير، وذلك لما تم تحقيقه من موقع اكاديمي مهم استطاع المركز تكوينه بفضل مشروعاته المتميزة على ساحة البحث العلمي في العالم، والنشاط الدؤوب الذي يخوضه كأول مركز ثقافي أنشئ في منظمة المؤتمر الاسلامي، لمتابعة مجالات التعاون الثقافي والحضاري في العالم الاسلامي.

# دراسة عن المآذن اليمنية

□ *القاهرة - «الحياة»*

■ صدر في القاهرة كتاب تحت عنوان «دراسة أثرية فنية عن المآذن اليمنية» لاستاذ الآثار الاسلامية في جامعتي القاهرة والكويت محمود إبراهيم حسين. ويعتبر اول تسجيل علمي لهذه المآذن.

وخلص المؤلف في دراسته الى عدد من النتائج، منها ان اليمن يعد من الاقطار الاسلامية ذات الطراز الخاص في ما يتعلق بعمارة المسجد عموماً وبعمارة المئذنة خصوصاً. انه لم يظهر في اليمن طراز عام للمآذن، بل إن كل مدينة كان لها طرازها الخاص في ما يتعلق ببناء المئذنة. فعلى سبيل المثال نجد ان الطراز الصنعائي في بناء المآذن اختلف عن الطراز الذي ظهر في تعز وعدن. كما لعبت المادة الخام المحلية دوراً مهماً في بناء المآذن بالحجر، بينما استعمل الطوب في مناطق اخرى مثل تعز وإب.

واستخدام اللبن والنورة في بناء المآذن من الخارج نال اهتماماً كبيراً، وكانت زخارفها عبارة عن زخارف هندسية وكتابات كوفية ونسخية وفي بعض الاحيان عناصر نباتية. وتأثرت المآذن اليمنية في بعض مكوناتها المعمارية والزخرفية بالمآذن المصرية والمغربية والاندلسية.

# الملكة الفقهية... طرائق تكوينها وحاجة المجتمع المعاصر لها

الكتاب: تكوين الملكة الفقهية.
المؤلف: محمد عثمان شبير
الناشر: كتاب الامة - قطر ١٩٩٩

راجعه: خالد عزب

■ يطرح هذا الكتاب قضية مهمة، هي كيف إعداد الفقيه ليتعامل مع الواقع المعاصر. ويستدعي المؤلف هذه القضية للبحث والمناقشة، بعد أن كادت تغيب عن الذهنية المعاصرة عموماً، وعن معاهد التعليم الشرعي الإسلامي خصوصاً، في هذه الحقبة الثقافية التي بدأ يكثر فيها المتحمسون ويقل فيها الفقهاء والخبراء المتخصصون، بل وينتشر فيها أدعياء العلم والفقه، بخاصة بين بعض التيارات الاسلامية.

يعرّف عمر عبيد حسنة في مقدمته للكتاب الفقة الحقيقي بأنه امتلاك القدرة على تحقيق المناط بالمصطلح الفقهي، او القدرة على تجريد النص من قيد الزمان والمكان، والاجتهاد في تنزيله على واقع الناس، ومعالجته لمشاكلهم، واستشرافه لمستقبلهم.

وأكد على اهمية تكوين الملكة الفقهية لدى طلاب العلم، لأن غياب الفقه الاسلامي الشامل عن اي موقع وعدم امتداده يعني وجود الفراغ الذي يسمح بدخول الآخر، او يؤذن باستدعاء الآخر ليصنع للناس رؤيتهم، ويضع لهم أوعية ومناهج لحركتهم، وفلسفات لمعارفهم، في سائر المعارف الإنسانية.

وعرّف المؤلف الملكة الفقهية، بأنها القدرة على النظر في الادلة، وكيفية استنباط الاحكام منها، حتى لا تكاد تعرض عليه حادثة من الحوادث الا امكن ان يعطيها ما يليق بها من الاحكام، فضلا عن انه بعد ذلك تطمئن نفسه الى ما يعمل به من احكام او يفتي به غيره، او يقضي به بين الناس، إذ لا يقدم على ذلك إلا وهو يعلم الدليل على ما اقدم عليه. وتطلق على الملكة الفقهية ألفاظ كثيرة منها، البصيرة والحكمة والاجتهاد. وقسّمها المؤلف الى أنواع عدة منها: ملكة تقرير القواعد الاصولية، والاستنباط الفقهي المستقل، ملكة الاستنباط الفقهي المبني على اصول الغير، ملكة التخريج الفقهي في المذهب، ملكة الترجيح الفقهي في المذهب، ملكة استحضار المذهب، وهي الخاصة بالقول المعتمد، واخيراً ملكة الترجيح بين المذاهب.

وتكوين الملكة الفقهية فرض كفاية، بحيث يجب على المجتمع توفير فقهاء ذوي ملكات فقهية راسخة لسد حاجاته، خصوصاً ان الملكة الفقهية ضرورية للفقيه، لتحقيق النضوج العقلي والفكري وما ينتج عن ذلك من احكام فقهية، علماً ان الملكة الفقهية ضرورية للمجتمع لسد حاجاته، كمعالجة قضايا العصر ومشاكله ووقائعه المستجدة، وترشيد مسيرة كل من الدعوة والمؤسسات المالية الاسلامية، وتذليل طريق استئناف الحياة الاسلامية. ويحتاج تكوين الملكة الفقهية الى انتقاء خاص للدارسين للفقة الاسلامي، بحيث يتوفر فيهم، الذكاء والفطنة والسيرة الحسنة، والالتزام بالواجبات الاسلامية، والهمة في طلب العلم. لذلك لا بد من توجيه الاذكياء والنابغين من الطلبة الى دراسة الفقه الاسلامي، كما يحتاج تكوينها الى انتقاء خاص للمدرسين.

وبيّن المؤلف ان تكوين الملكة الفقهية يحتاج الى منهج دراسي اصيل، يتضمن العلوم والمعارف الآتية: القرآن الكريم والسنة النبوية وعلومهما والاجماع اليقيني، واصول الفقه المتضمن قواعد الاستنباط وعلوم اللغة العربية من نحو وصرف ولغة وبيان وأدب، ومقاصد الشريعة، والفقه الاسلامي، والقواعد الفقهية، اضافة الى فهم الواقع المعاصر بما فيه من علوم معاصرة، وتغيرات سياسية واجتماعية وغير ذلك، وضرورات العصر وحاجاته.

ويتحقق ذلك بدراسة اللغة الاجنبية ومداخل العلوم الحياتية، والقانونية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والكومبيوتر وغير ذلك.

ولمح المؤلف الى أن الملكة الفقهية قد تتأثر بالآفات النفسية والأخلاقية ومنها: الكبر والعجب والغرور والحسد بين العلماء. كذلك تتأثر بالمعوقات المنهجية، ومنها الإخلال بالنصوص الثابتة، والقول بحرفية النصوص او عدم تعليل الاحكام، والتضييق في المسائل الجديدة بذريعة عدم وجود نص من الكتاب والسنة يقاس عليه، او الغلو في اعتبار المصلحة على حساب النصوص الثابتة قاطعة الدلالة، وتبرير الواقع السيئ الذي صنعه غير المسلمين بإضفاء الشرعية عليه إرضاء لعامة الناس او السلطان، أو لوقوع الفقيه تحت تأثير ما يسمى بالهزيمة النفسية.